(المحاضرة الرابعة)

أما بن حوقل فيذكر طريقا آخر مباشر من فاس إلى إقليم آغمات إلى سجلماسة في ستة عشر مرحلة.[1]

أما الفرع الثاني من الطريق الرئيسي (وهو الطريق (ب)) فيبدأ من تيهرت إلى حصن ابن كرام عبر متيجة إلى إمارة هاز إلى بلد بني دمر إلى بوابة بلاد الزاب من الجهة الغربية وهي أدنة[2] إلى المسيلة إلى مقرة[3] إلى طبنة إلى بسكرة إلى ورجلان إلى أدرار إلى أفوقاس إلى تادمكة التي (كانت مركزا تجاريا هاما) إلى مدينة كوكو إلى غانة والمراكز السودانية الأخرى.[4]

ويوجد عدة طرق فرعية لهذا الطريق الرئيسي، منها من القيروان إلى بلاد الجريد (حيث مدينة قسطيلية بالجنوب التونسي) إلى واحة ورجلان إلى مناطق السودان الغربي.[5]

ج- <u>الطريق الثالث</u> :

<u>الطريق الشرقي</u> : وهذا الطريق يربط مناطق طرابلس بالسودان الغربي مارا بجبل نفوسة في اتجاه مدينة غدامس، ثم إلى تادمكة ومنها يصل إلى منحنى نهر النيجر .[6]

طرابلس ـــ جبل نفوسة ـــــ مدينة غدامس ـــ تادمكة ـــــ منحنى نهر النيجر.

وهناك فرع ثان للطريق الشرقي الذي يربط مناطق طرابلس وبرقة بالسودان الأوسط (كانم) عبر صحراء فزان، ويبدأ من طرابلس باتجاه الجنوب إلى صحراء فزان ويمر بزويلة المحطة التجارية المهمة في صحراء فزان، ثم يسير إلى مناطق كانم بالسودان الأوسط*،

---

[1] -ابن حوقل، صورة الأرض، ص 90.
[2] -اليعقوبي، ص 107، 109.
[3] - ابن حوقل، صورة الأرض، ص 87.
[4] -البكري، ص 183.
[5] -البكري، ص 182.
[6] -البكري، المصدر السابق، ص 182، 183.
* -تقدر المسافة بين فزان وزغاوة مسيرة شهرين، وبين زويلة واجدابية نحو أربعة عشر مرحلة، أنظر: البكري، المصدر السابق، ص 10.

(طرابلس ـ باتجاه الجنوب ـ صحراء فزان ـــ زويلة ـــ كانم (بالسودان الأوسط)، وعلى هذا يمكننا القول بأن مناطق برقة وطرابلس ارتبطت بالسودان الأوسط والغربي بطرق تجارية سارت عبر صحراء فزان[7].

والظاهر أن طريق السودان الأوسط (كانم) كان سالكا منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، حيث مارس الإباضيون التجارة عبر فزان إلى بلاد السودان، وقد دلت الحقائق التاريخية عن وجود علاقات تجارية بين حاكم كانم وحاكم جبل نفوسة " أبو عبيدة عبد الحميد الجنادي "، إذ كان هذا الحاكم يعرف اللغة الكانمية، ولا شك أن هذه المعرفة باللغة نبعت من وجود صلات بين الإباضية وبين كانم، إذ كانت العلاقات بينهما اقتصادية بالدرجة الأولى، خاصة وأن الإمارة الإباضية التي نشأت في زويلة أثناء القرن الرابع الهجري تحت حكم بني خطاب الإباضي مارست نشاطا تجاريا كبيرا في كانم عبر الصحراء.[8]

وبعد هذه العرض لا بد من الإشارة إلى أن هذه الطرق التجارية التي ذكرناها، تتحكم بها عوامل سياسية واقتصادية وجغرافية تؤدي إلى تغيير مسالك القوافل من وقت لآخر، غير أن اتجاهاتها عموما تبقى ثابتة، مادامت المراكز التجارية الواقعة عليها لم تفقد قيمتها لسبب ما، ومن أمثلة ذلك أنه بعد ما اندثر الطريق الذي يربط مصر بالسودان الغربي المار عبر فزان بسبب العوامل الطبيعية، اتجه التجار إلى استعمال طريق سجلماسة ــ أودغشت، كما نشط الطريق الأوسط الذي ربط وارجلان بالسودان الغربي بفعل العامل السياسي المتمثل في نشاط الإباضية عبره بعد أن سقطت الإمارة الرستمية في تيهرت، وقد كان للصراع الذي حدث في هذا الزمن بين مختلف القوى السياسية للسيطرة على بعض الطرق التجارية من أجل استمرار تدفق الذهب السوداني، كالصراع الذي شهدته المنطقة بين العبيديين (الفاطميين) وأمويي الأندلس من أجل السيطرة على الطريق الصحراوي الغربي الذي ينطلق من سجلماسة، وكان من نتائج هذا الصراع أن تدخل الأمويون في المغرب الأقصى لمنع

---

[7] -ابن حوقل، المصدر السابق، ص 90.؛ موريس لمبارك، المرجع السابق، ص 85.

[8] -ابن خلدون، العبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، 1979م، ج 6، ص 191- 192؛ إدريس صالح، العلاقات الاقتصادية، ص 77.

العبيديين (الفاطميون) من الهيمنة على تجارة الذهب مع السودان[9]، وفعلا تمكن الأمويون في فترات من القرن الرابع الهجري من استعادة التحكم في الطريق الغربي، بينما بقي الطريقين الأوسط والشرقي تحت السيطرة العبيدية (الفاطميون)، ويذكر الجنجاني في كتابه، دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، أن السيطرة الفعلية على الطريق الأوسط كانت عبر وارجلان بالنسبة للخوارج الإباضية، ولم يفلح العبيديون (الفاطميون) في السيطرة عليها تماما[10]، رغم الحملات العسكرية التي سخرت لهذا الغرض، وكانت آخر محاولة لهم للسيطرة على المسلك الغربي سجلماسة ـــ أودغشت ـــ بلاد غانة للحصول على الذهب السوداني سنة (347 هـ/ 958 م).[11]

ومهما يكن من أمر فإن العبيدين (الفاطميون) كانوا أصحاب السيطرة المطلقة على الطريق الغربي خلال الفترات التي خضعت سجلماسة فيها لسيطرتهم، واستمر هذا الحال حتى رحلوا إلى مصر في عام (362هـ/ 972م)، وقد حاول هؤلاء، بعد رحيلهم، إحياء المسلك الرابط بين مصر وبلاد السودان تعويضا عن المسلك الغربي، وذكر " ابن الأبار" أن يحي بن علي بن حمدون الجذامي بن الأندلس (عن هذه الشخصية في القرن الرابع الهجري أنظر البيان المغرب لابن عذاري، ج2، ص242-244، وابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص173.) قد استعمل هذا المسلك عندما فر من الأندلس متجها نحو القاهرة، إذ يقول : " فصار إلى سجلماسة ثم ركب الصحراء إلى مصر، فقابله العزيز بالله أبو المنصور نزار(ت. 386هـ/996م) وهو عصرئذ الخليفة العبيدي بها ".[12]

---

[9] - محمود إسماعيل عبد الرزاق، الأدارسة (172 – 375 هـ)حقائق جديرة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991 م، ص 174.
[10] -الجنجاني، دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، دار الطبيعة، بيروت، 1980 م، ص 68.
[11] - الجنجاني، ص 68.
[12] -ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، ط 2، 1985 م، ج 1، ص 307.